الخسيسة التي يتبناها الحسيون الناكرون لما وراء الحس، ثم ﴿بَادِيَ ٱلرَّأْيِ﴾ وهو الرأي دون غور وتأمل الذي مجاله وراء الحس أم والحس فيما يحتاج إلى تأمل، ثم ﴿نَظُنُّكُمْ﴾ سناداً إلى غير العلم في النكران.

وكيف تكذّب رسالة الله بـ﴿وَمَا نَرَىٰ﴾ ﴿بَادِيَ ٱلرَّأْيِ﴾ ﴿نَظُنُّكُمْ﴾ وهو جهالة مثلثة مفلّسة؟!.

فـ ﴿وَمَا نَرَىٰ﴾ الأولى تتبنى ظاهرة البشرية، أننا لا نجدك إلّا مثلنا فيها، فكيف تتفضل علينا ولا فضل لك علينا، متجاهلين الفضائل الروحية غير الحسية.

و﴿وَمَا نَرَىٰ﴾ الثانية تتبنى ظاهرة الفقر الذي يعبرون عنه بالرذالة، وهو الفقر المادي الحسي، متجاهلين الثروة الروحية التي تدعوا لإتباع الحق المبين.

و﴿وَمَا نَرَىٰ﴾ الثالثة سلب لأي فضل وحتى الروحي إذ لا يرى حسياً، ورؤية الفضائل الروحية هي رؤية عقلية روحية، وليس ﴿مِن فَضْلٍ﴾ تختص بالفضل الحسي لمكان ﴿فَضْلٍ﴾ النكرة في سياق النفي من هؤلاء الذين يعنون سلب أي فضل مهما كان روحياً فهم لا يعتبرونه فضلاً، مجاراة مع نوح عليه السلام ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾[1].

ثم النتيجة ﴿بَل نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾ هي ظن يتبنى ﴿وَمَا نَرَىٰ﴾ في حقل سلب الرؤية الحسية ﴿ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾[2].

فلقد عمّيت على هؤلاء الأعمين أصل الفضيلة وهي الروحية، زاعمين

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٢٤.
(٢) سورة النور، الآية: ٤٠.

أن الفضيلة هي فقط الفضيلة في الحياة الدنيا بزخرفاتها وقواتها الحيوانية، فحرموا أنفسهم من رحمة غالية ربانية.

ذلك رد العليّة المستكبرين من قومه كما هو رد سائر المستكبرين طول الزمان وعرض المكان، اعتذاراً جاهلاً ماحلاً قاحلاً ليس ليقصد الجد، وإنما هو للفرار عن المسؤولية، والقرار على الأريحية والإباحية الطليقة، فحتى إذا أرادوا أن يعبدوا فهم عابدون ما أرادوا كما يشتهون ما لا يحملهم أو زار التكليف الذي يحدد شهواتهم ورغباتهم، وأوضاره.

ذلك، وفي استنكار رسالة البشر إلى البشر تغاض عن أهلية البشر لحمل الرسالة الربانية، رغم أن الله خلقهم في أحسن تقويم، ولكنهم يردون أنفسهم بأنفسهم إلى أسفل سافلين!.

هذا! وفي رسالة البشر إلى البشر تبجيل لهذا البشر أنه مكتف بنفسه في حمل الرسالة، وهذه أقرب إلى القبول، وأغرب عن الذّبول والأفول، وأقوى حجة عند أرباب العقول.

ثم في تسمية الفقراء العزّل المظلومين أراذل رذالة من الرأي، وثفالة من الوعي، فإنما الأراذل هم الذين رذّلوهم وظلموهم وهضموهم حقوقهم، فهم - إذاً - أفاضل وليسوا أراذل، واتّباعهم رسل الله هو بنفسه دليل على أن رسالات الله ناحيه - كأساس - منحى الحفاظ على حقوق المظلومين المهضومين، فهم يعيشون تحت ظلالهم، ويخرجون بذلك عن ضلالهم.

ثم في دمج نوح بمن اتبعوه من «الأراذل» ترذيل له نفسه، فلو كان فضيلاً لما اتبعه رذيل، وأقل ما في الدور أننا ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ يفضلكم علينا بفضيلة الرسالة، فالنتيجة: ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾ في دعوى الرسالة واتباعها، فلا رسولكم رسول ولا أنتم مؤمنون برسول.

وهنا الجواب الحاسم، القاصم ظهور المستكبرين، يأتي في صيغة الاستفهام الاستنكار:

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾﴾:

هنا لا يحتّم - قضية حائطة الحوار وأدبه الأريب - أنه على بينة من ربه، وإنما ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ تقديماً لـ ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ تحريضاً لتحرّيهم عما يدعيه لكي يصدقوه على بينة أم يكذبوه على بينة، حثاً على إعمال الرأي في إمكانية كونه على بينة من ربه، ومن ثم واقعه، وقد كان واقعاً عمّى عليهم بسوء تقصيرهم، وتفسير هم لكيان نوح والذين آمنوا معه.

ثم ﴿وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾ خاصة بين البشر وهي الرحمة الروحية المتميزة الرسالية بعصمتها وبلاغها، أترون الله بخيلاً أم عاجزاً لا يستطيع على إتياني رحمة من عنده؟.

فـ ﴿كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ تعني بينة الرسالة الربانية الخاصة، البينة من حالي وفعالي وأعمالي وكما ﴿قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾[1] حيث التربية الرسالية الربانية باهرة فينا، ظاهرة علينا، فهذه بينة البرهان، وأما المبرهن عليه فـ ﴿وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾ تبينها أني ﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ تلك البينة وهذه الرحمة إذ أنتم حاصرون الرحمة في المعطيات الحيوانية الظاهرة، حاسرون عن المعطيات الإنسانية الزاهرة.

فلقد أعماكم عن هذه وتلك أنفسكم الأمارة بالسوء، والشياطين المؤمّرون عليكم بالسوء، فعميت أبصاركم - الفطرية والعقلية، بل والحسية - عن إبصار الحق المرام، فلا تبصر إلّا ظاهراً من الحياة الدنيا ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ رؤية للبينة فتصديقاً للرحمة ﴿وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ والكاره للحق ليس ليكره على قبول الحق ولا سيما إذا ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا

(١) سورة يس، الآية: ١٦.

وَعُلُوّٗا﴾[١] و﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾[٢] إذ ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾[٣].

وبما أن الرحمة لا توصف بالعمى، وإنما يوصف الناس بها عن تمييز مواقعها وإدراك مواضعها، فلما وصفوا بالعمى عنها حسن أن يوصف بذلك في القلب، كما يقال: أدخلت الخاتم في أصبعي والمغفر في رأسي، وإنما الداخل هو الأصبع والرأس.

أم إنها تعني أخفيت عليكم كما يقال: عمى عليّ خبرهم، وعمي عليّ أثرهم، أي خفي عني الخبر والأثر.

فيا عظماه لذلك الاتجاه في الإجابة عن المعترض القاسي حيث يخاطبهم خطاب الحنون بـ ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ مرات في كل من القطاعات من حججه، وبكل سماحة ومودة، ثم ﴿أَرَءَيۡتُمۡ﴾ تطلباً لرأيهم على ذبالة وعيهم خروجاً عن الرؤية الحسية لفترة، ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي﴾ شرطاً دون تثبيت رغم ثابتها، ﴿فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ﴾: البينة والرحمة، فلم تروهما فيّ، فهل لكم أن تنكروها - إذاً - فتكذبوني، ثم ﴿أَنُلۡزِمُكُمُوهَا﴾ إلزاماً بغير حجة عميت عليكم ﴿وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ فلا دور للإلزام العقلي بينة ورحمة إذ عميت عليكم ثم لا دور للإلزام قلبياً ﴿وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾.

وهنا ﴿أَرَءَيۡتُمۡ﴾ تكسح ثالوث «ما نرى» والناتج عنها: ﴿. . . بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ﴾ تحريضاً على الرؤية العاقلة وراء الحس وهي الرؤية الإنسانية المتميزة عن الحسية الحيوانية، فقد وجههم إلى رؤية ﴿بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي﴾ تتبين بالعقلية الإنسانية دون مجرد الحس.

وهكذا يتلطف نوح عليه السلام في توجيه أنظارهم وأبصارهم ولمس

(١) سورة النمل، الآية: ١٤.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

وجدانهم وإثارة حساسيتهم لإدراك القيم التي عميّت عليهم بما عمّوها على أنفسهم، إعذاراً لنفسه في نكرانه بينة الله ورحمته، وحملا للمسؤولية كلها على عواتقهم بذلك التوجيه الوجيه الدقيق الرقيق، الحقيق أن يكتب بالذهب.

فهذه طمأنة لصدق هذه الرسالة من ناحية البينة الصادقة والرحمة، ثم من ناحية ثانية:

﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾:

هنا عدم سؤال المال إضافة إلى بينات الهدى هما طرفان طريفان وجناحان ظريفان للطائر القدسي الرسالي أثبتا رسالته دون أية ريبة.

فالداعية على غير بينة وإن لم يسأل أجراً على دعوته، وسائل الأجر عليها إثقالاً على المدعوين وإن كان على بينة من ربه ولن، هما لا يطمئن بهما في الادعاء والدعوة والدعاية، فإن الذي يسأل أجراً قد يدعو حسب مصلحية الأجر وقدره، أم يهدف الحصول على المال بدعوته الرسالية، والذي لا يسأل أجراً ولكنه ليس على بينة قد لا يسأل جذباً للنفوس الساذجة، بل وهو يدفع لمن يتبعه أجراً كما هو دراج رائج بين دعاة الباطل.

ولكن الذي هو على بينة من ربّه ولا يسأل أجراً، ليس ليكلف العقول ما لا حجة له، ولا يكلف أصحاب العقول مالاً وأجراً، فإنما يدعو دعوة خالصة مريحة مربحة عن أعباء الجاهليات والهمجيات.

لذلك نرى أن الدعاة الرساليين ككل يلحّقون بينات رسالاتهم بعدم سؤال الأجر، مما يكمل حججهم على المكلفين دونما إبقاء لأية عاذرة عقلية ولا مالية.

ولو أن الدعوة الرسالية كانت مزوّدة بسؤال الأجر لحرم عن قبولها

والإقبال إليها الفقراء، ولكانت حملاً على الأغنياء ولا سيما على البخلاء، أن يؤتوا أجراً على ما لا يشتهون، ولكانت مظنة للطمع في الأموال.

ثم ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ رعاية للذين لم يؤمنوا ويشترطون في إمكانية إيمانهم طرد الذين آمنوا، ربطاً للإيمان بشريطة اللّاإيمان، فإن طرد المؤمنين يناحر الإيمان، فـ ﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾ بأنفسهم هنا ويوم اللقاء، ولهم مالهم لإيمان وعليهم ما عليهم لو كان خلاف الإيمان: ﴿۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾﴾[1] - ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2].

وهذه شيمة شنيعة للمستكبرين الرعناء اللعناء أنهم يشاقون الفقراء والضعفاء حتى في الإيمان المدعى، فلا يجمعهم معهم حتى الإيمان بالله - وهو الجانب الروحي الفضيل من الإنسان - لأنهم يرون المقياس هو الجانب المادي الرذيل!.

وكيف تجيب الرسالات الربانية إلى متطلّبهم في طرد الفقراء، وهي ملاجئ لهم أمام هؤلاء الهاضمين حقوقهم، ولو كانت الرسالات - على حد زعم الاشتراكية البلوشية - حفاظات على الثروات، فلماذا كانت - على طول الخط - يلجأ إليها الفقراء ويطاردها الأغنياء؟!.

﴿وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾﴾:

ولو أنني أطرد المؤمنين لأنهم فقراء، لكم أنتم الكافرين لأنكم أغنياء، أم مغبة إيمانكم القاحل الماحل، فذلك ذنب رسالي لا يغفر، وإذا فـ ﴿مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ﴾ حيث يعاقبني ﴿إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ناصع الحق وناصحه.

(١) سورة الشعراء، الآيات: ١١١-١١٥.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٥٢.

وأنا - إذاً - خسرت خالص المؤمنين، وما ربحت إلا كالس وعد الكافرين، فإن آمنوا فإيمانهم هذا - شرط ذلك الطرد - مطرود في شرعة الله، وإن لم يؤمنوا - ولن - فقد خسرت المؤمنين بالفعل، ومعهم الكافرون الواعدون الإيمان كذباً!.

ذلك، فقد يعاقبني ربي تخلفاً عن صالح الدعوة، رغبة في كالح الإيمان، فهل من ناصر - إذاً - ينصرني من بأس الله ونكاله إن طردتهم، فما تزيدونني - إذاً - من بأس الله ونكاله إن طردتهم، فما تزيدونني - إذاً - غير تخسير، حيث إن داعية الحق إن أجاب إلى باطل لتحقيق الحق فيمن ليس ليقبله، طرداً لمن قبله مقبلاً إليه، كانت دعوته - إذاً - فالسة كالسة، متخلفة عن الدعوة الخالصة الرسالية عن بكرتها.

أجل، فلا دور لسائر المصلحيات المزعومة الموعودة من قبل الناكرين رسالات الله، إلا كورا، وإنما المصلحية الصالحة هي خالص الدعوة الصارمة إلى الله، دون جعل البلد شطرين، وأخذ العصا من الجانبين، فإنه نفاق في الدعوة، وصفاق خاسر فيها!.

﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾:

هنا سلبيات أربع تسلب عنه ما يخيّل إليهم إثباته للرسول، فإذا لم يجدوه فيه كذبوه، وهي إجابة صريحة عن الفضل المزعوم لهم للرسالة الإلهية حيث نفوه عنه عليه السلام: ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾[1] إن الفضل فضلان، فضل رباني وهو مختص بالله تعالى، وفضل رسالي فأنا على بينة

(١) سورة هود، الآية: ٢٧.

من ربي ورحمة منه، وبينهما فضل غيرهما يزعمونه شرطاً أصيلاً للرسالة، والسلبيات الأربع، هي التالية، مما اختص إثباته بالله كالثلاثة الأولى، أم اختص بالملائكة:

١ - ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ حتى أملكها فأملكها الفقراء التابعين إياي ليخرجوا من رذالة الفقر على حد تعبيركم: «هؤلاء أراذلنا» فخزائن الله هي عنده لا يؤتيها لأحد من العالمين، ولا أملك منها شيئاً ولا تطلّباً مجاباً، ولا أدعي الثراء، أو القدرة على الإثراء.

٢ - ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ كيف ولا يعلمه إمام الرسل محمد ﷺ كما لا يملك خزائن الله: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ...﴾[1] - ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾[2].

٣ - ﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ﴾ كما تشتهون وتتعنتون فادعي صفة - هي بزعمكم - أعلى من صفة الإنسانية، لأرتفع في حسبانكم الباطل الجاهل إغراء بالجهل، حيث الحق لا يتذرع إليه بالباطل، والغاية لا تبرر الوسيلة، بل أنا فوق الملك برسالة ربي لو تشعرون.

٤ - ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ﴾ انتقاصاً لهم وإزراء بازدراء إرضاء لكبريائكم وعلوائكم أو مسايرة لتقديركم الغدير أرضياً، قيمكم - الهابطة - عرضياً، ﴿وَلَآ أَقُولُ﴾ لهؤلاء الفقراء: ﴿لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ﴾ كما تزعمون.

والازدراء هو صفة أصحاب هذه الأعين، منسوبة هنا إلى الأعين مبالغة بليغة إذ تستصغرهم بلمحات العين، حيث يقبحون في منظر عينك خلقة

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٠.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٨.

ويصغرون دمامة، كما يقال: اقتحمت فلاناً عيني واحتقره طرفي، إذا قبح في منظر عينه خلقة، وصغر دمامة.

﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ من نفاسة الإيمان كما يظهرون، أم من نحوسة النفاق لو أنهم يبطنون، فليس إلا ظاهرهم الباهر بالإيمان حيث يدعو إلى التكريم والاطمئنان، وإلى الرجاء أن يؤتيهم الله خيراً مما آتاهم على ضوء الإيمان.

وهنا ﴿لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ﴾ سلب طليق لكل خير عن هؤلاء الذين تزدرى أعينهم، وهذه فكرة خاطئة استكبارية بشأن الفقراء، اعتباراً أن الله تعالى كما فضل الأغنياء بفضل القوة والسيادة والمال، فهكذا الحال في كل فضل من رسالة ربانية أماهيه من فضل، وقد يندد بهم كما في آية الأعراف من أصحاب الأعراف: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ٤٨ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ٤٩﴾[1] فهؤلاء الأغنياء المستكبرون الأغبياء يظنونهم يستحقون كل الخيرات لأنهم أوتوا من المال والقوة ما به يستكبرون! كلا يا أغبياء، ليست السيادة المادية تلازمها السيادة الروحية، بل هما متناحرتان اللّهم إلا في صاحب السلطة الزمنية على ضوء السلطة الروحية منه أم من روحي آخر! وتاريخ السلطات المادية الزمنية تشهد أنهم ليسوا إلا معارضين للسلطات الروحية فكيف - إذاً - يستحقونها على شؤمهم ولؤمهم!.

﴿إِنِّيٓ إِذٗا﴾ لو أنني أقول عندي خزائن الله واعلم الغيب وإني ملك، وأقول ﴿لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ﴾ - ﴿إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بحق رسالة الله وعباد الله!.

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ٤٨، ٤٩.

ذلك، وأحسن تعريف بالملائكة بعد تعريف القرآن ونبي القرآن ما عرفهم به شاهد منه في قوله عليه السلام: «ثم خلق سبحانه لإسكان سماواته، وعمارة الصفح الأعلى من ملكوته خلقاً بديعاً من ملائكته، وملأ بهم فروج فجاجها، وحشا بهم فتوق أجواءها، وبين فجوات تلك الفروج زجل المسبحين منهم في حظائر القدس، وسترات الحجب، وسرادقات المجد، ووراء ذلك الرجيح الذي تستك منه الأسماع سبحات نور تردع الأبصار عن بلوغها، فتقف خاسئة على حدودها، وأنشأهم على صور مختلفات، وأقدار متفاوتات أولي أجنحة تسبّح جلال عزته، لا ينتحلون ما ظهر في الخلق من صنعه، ولا يدعون أنهم يخلقون شيئاً معه مما انفرد به ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾[1] - جعلهم فيما هنالك أهل الأمانة على وحيه، وحمّلهم إلى المرسلين ودائع أمره ونهيه، وعصمهم من ريب الشبهات، فما منهم زائغ عن سبيل مرضاته، وأمدّهم بفوائد المعونة، وأشعر قلوبهم تواضع إخبات السكينة، وفتح لهم أبواباً ذللاً إلى تماجيده، ونصب لهم مناراً واضحة على أعلام توحيده، لم تثقلهم موصرات الآثام، ولم ترتحلهم عقب الليالي والأيام، ولم ترم الشكوك بنوازعها عزيمة إيمانهم، ولم تعترك الظنون على معاقد يقينهم، ولا قدحت قادحة الأحن فيما بينهم، ولا سلبتهم الحيرة ما لاق من معرفته بضمائرهم، وسكن من عظمته وهيبة جلاله في أثناء صدورهم، ولم تطمع فيهم الوساوس فتقترع برينها على فكرهم، منهم من هو في خلق الغمام الدّلّخ، وفي عظم الجبال الشّمّخ، وفي قترة الظّلام الأيهم، ومنهم من قد خرقت أقدامهم تخوم الأرض السفلى، فهي كرايات بيض قد نفذت في مخارق الهواء، وتحتها ريح هفّافة تحبسها على حيث انتهت من الحدود المتناهية، قد استفرغتهم

(١) سورة الأنبياء، الآيتان: ٢٦، ٢٧.